السنة الثانية عشرة من الهجرة

قد ذكرنا انفصال خالد عن اليمامة، وكتاب أبي بكر رضوان الله عليه إليه بالمسير إلى العراق، فمن الناس مَن يقول: إنه رجع من اليمامة إلى المدينة، فقَدم على أبي بكر، فأوصاه بما يَعتمده، ثم سار إلى العراق. ومنهم مَن يقول: إنه سار من اليمامة إلى العراق، وهو الظاهر، فسار بمَن معه من بني تميم وأسد وقيس وعبد القيس والمهاجرين، وجاءه كتاب أبي بكر ﷺ: أن دوخ[1] العراق من أسفلها، فابدأ بفَرْج الهند، وهو الأُبُلَّة، وفارس، وتألَّف تلك الأمم[2].

فخرج من اليمامة في أول المحرَّم من هذه السنة، فسلك على طريق الكوفة، فانتهى إلى السَّواد، فنزل بقُرَيّات يقال لها: بانِقْيا وبارُوسْما وأُلَّيْس، وبها رجل يقال له: ابنُ صَلوبا، فصالحه على أهلها، فقبل خالد منه الصُّلح والجِزية، وكتب له كتاب أمان نُسختُه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابُ أمانٍ من خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله لابن صَلوبا السَّواديّ، ومنزلُه على شاطئ الفرات، إنه آمن بأمان الله تعالى، إذ حقن دمَه بأداء الجزية، وله ذِمَّةُ الله وذمة رسوله والمؤمنين. وأشهد في الكتاب أخاه هشام بنَ الوليد.

ثم سار، فنزل الحيرة وبها إياس بنُ قَبيصَة الطائي، وكان كسرى قد ولَّاه إمارةَ العرب بعد النعمان بن المنذر، فلما رأى جيوش خالد خرج إليه في أعيان العرب وأشرافهم، فقال لخالد: ما الذي أَقدمك علينا؟ فقال: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن أَجبتُم فأنتم من المسلمين، وإن أَبيتُم فالجزية، فإن أَبيتُم جاهدتُكم برجالٍ هم أحرص على الموت منكم على الحياة، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فقال له إياس: ما لنا بحربك من طاقة، بل نُقيم على ديننا، ونُصالحك على ما نَتَّفق عليه، فصالحه على تسعين ألف درهم كل سنة، وضمَّ خالد تلك إلى ما صالح عليه ابن صَلوبا، وبعث بها إلى أبي بكر ﷺ فكانت أول جزية وقعت بالعراق.

---

(١) كذا، والذي في الطبري ٣/ ٣٤٣، والمنتظم ٤/ ٩٧: أن يدخل العراق من أسفلها.

(٢) في الطبري ٣/ ٣٤٣: وابدأ بفرج الهند وهي الأبلة، وتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم.

حديث عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حَيّان بن بُقَيْلة مع خالد بن الوليد

قال محمد بن السائب الكلبي: سار خالد من اليمَامة إلى العراق فنزل النِّباج. قال الجوهري: النِّباجُ: قريةٌ بالبادية، أحياها عبد الله بن عامر فيما بعد[1]. وكان المثنّى بن حارثة نازلاً بخَفَّان، وكان لمّا قَدِم على أبي بكرٍ قال له: أمِّرني على مَن قِبَلي من قومي أكفِك أهلَ فارس، فأَمَّره، وقد ذكرناه. وكان مُقيماً بخَفَّان ويُغير على أسفل الفُرات.

وقال المدائني: وهو أوّلُ من حارب الفُرسَ في أيام أبي بكرٍ. ولما نزل خالد النِّباج كتب إلى المثنى أن يَقدُم عليه، وبعث إليه بكتاب أبي بكرٍ يأمُره فيه بطاعة خالد. فسار المثنى إليه، وسار خالد والمثنى يَشُنّان الغارة على البلاد، والمثنى على مُقدّمته، فعرض لهما جابان صاحبُ أُلَّيس، فبعث إليه خالدٌ المثنى، فهزمه وقتل مُعظم أصحابه، وكانت الوقعةُ إلى جانب نهرٍ، فجرى ذلك النهرُ من دماء أصحاب جابان، فسُمّي نهرَ الدم إلى اليوم. ثم إن جابان صالحهم على مالٍ فقبلوه، وأقبلوا نحو الحيرة فلقيتهم خيول زاديه صاحبُ خيل كسرى بمجمع الأنهار، وكانت مَسالح بينه وبين الحجاز، فهزمهم المثنى.

ولما رأى ذلك أهلُ الحيرة خرج أشرافُهم للقاء خالد، وفيهم إياسُ بن قبيصة وعبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيّان بن بُقيلة، فجلسوا إلى خالد، فأقبل على عبد المسيح فقال له: من أين أقصى أَثرِك؟ قال: من ظهر أبي، قال: من أين خرجتَ؟ قال: من بطن أمّي، قال: على أيِّ شيءٍ أنت؟ قال: على الأرض، قال: ففي أيِّ شيءٍ أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ابنُ كم أنت؟ قال: ابنُ رجلٍ واحد، قال: ويلك أتَعقِل؟ قال: نعم وأُقيِّد، قال خالد: إنما أسألُك، قال: وأنا أُجيبُك، قال خالد: ما رأيتُ كاليوم، أسأله عن شيءٍ ويَنحو في غيره. فقال: ما أنبأتُك إلا عما سألتني، فقال خالد: أعربٌ أنتم أم نَبَط؟ قال: عربٌ استَنْبَطنا، ونَبَطٌ استعربنا، قال: فكم أتى لك؟ قال:

(١) الصحاح (نبج).

خمسون وثلاث مئة سنة. قال: فما أَدْرَكْتَ؟ قال: السُّفن تأتي في هذا البحر ـ يعني النَّجف ـ بمتاع السِّند والهند، ورأيتُ المرأة تضعُ على رأسها المِكْتَل، لا تتزوَّد إلّا رغيفاً واحداً حتى تأتي الشام، ثم أصبحت الدنيا اليومَ خراباً. فقال خالد: أسِلْمٌ أنت أم حَربٌ؟ قال: سِلْم. قال: فما هذه الحصونُ التي أرى؟ قال: بنيناها للسَّفيه نحبسُه عنَّا حتى يأتي الحليمُ فينهاه. فقال له خالد: فإني أدعوكم إلى الاسلام، [فإن أبيتم فالجزية] فإن أبيتُم قاتلتكم برجالٍ يحبُّون الموت كما تُحبُّون شُربَ الخمر، فقال: لا حاجة لنا بقتالكم. فصالحه على تسعين ومئة ألف درهم. وفي رواية ابن الكلبي: فهي أول جزيةٍ حُملت من العراق.

قال: ونظر خالد إلى عبد المسيح فرآه يُقلِّبُ شيئاً في يده، فقال له: ما هذا؟ قال: سَمُّ ساعةٍ، قال: وما تَصنع به؟ قال: إن وجدتُ عندك ما يُوافقُني وقومي قبلتُه، وإلا لم أكن بأول مَن ساق إلى قومه ذُلّاً وشراً، فأشربه فأستريح من الحياة، فقال له خالد: فهاته، فناوله إياه، فقال خالد: بسم الله وبالله رب السماوات والأرضين الذي لا إله إلا هو، لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ثم أكله فتجلَّلَتْه غَشيةٌ، وضرب بذَقنه على صدره، ثم عَرقَ، وأفاق كأنما أُنشِط من عِقال، فرجع عبد المسيح إلى قومه، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: جئتُكم من عند شيطانٍ أكل سَمَّ ساعةٍ فلم يضرَّه، فصالحوه على ما أراد، فهذا أمره معمول لهم، فصالحوه، وشرط عليهم خالد أن يكونوا عوناً للمسلمين، فدخلوا تحت شرطه، وكان عبدُ المسيح نصرانياً عاش خمسين وثلاث مئة سنة وقد ذكرناه. وهو الذي بعثه كسرى إلى سطيح بالشام يسألُه عن رؤياه، وقد ذكرناه.

وفي روايةٍ عن هشام عن أبيه قال: لما نزل خالدٌ الحيرةَ تَحصّن منه أهلُها، فأرسل إليهم: ابعثوا إليَّ رجلاً من عُقلائكم، فبعثوا عبد المسيح، فلما أتى خالداً قال له: أنعِم صباحا أيها الملكُ؟ فقال خالد: قد أغنانا الله عن تَحيَّتك، وذكر بمعنى ما تقدَّم[1].

(١) انظر كتاب الردة للواقدي ٢٢٧ـ٢٢٨، وتاريخ الطبري ٣/ ٣٤٤ـ٣٤٥، وفتوح البلدان ٢٤٤ـ٢٤٥، ومروج الذهب ١/ ٢١٦ والبيان والتبيين ٢/ ١٤٧، وأمالي المرتضى ١/ ٢٦٢، والمنتظم ٤/ ٩٨ـ١٠٠، وأعمار الأعيان ١١٨ـ١٢٠، وفيه فضل تخريج.

وذكر ابنُ أبي الدنيا أن بعض أهل الحيرة خرج إلى ظاهرها، فحفر بئراً قريباً من ديرٍ خرابٍ فإذا كهيئة البيت، ورأى فيه رجُلاً على سريرٍ من زُجاجٍ، وعند رأسه مكتوب: أنا عبد المسيح بن عمرو بن بُقيلة، عشتُ ثلاث مئةٍ وخمسين سنةً حاكماً على الحيرة، ثم جاءني الموتُ فصيَّرني كما ترى، وتحته مكتوب: [من الوافر]

حلبْتُ الدهرَ أَشْطُرَهُ حياتي ... ونِلْتُ من المنى فوق المزيدِ
وكافَحْتُ الأمورَ وكافحتني ... ولم أَحفَلْ بمُعْضلةٍ كَؤودِ
وكِدْتُ أنالُ في الشَّرف الثُّريا ... ولكن لا سبيلَ إلى الخُلودِ[1]

فصلٌ في ذكر من عاش ثلاث مئة سنةٍ فما زاد[2]

قال الكلبي: عاش قُسُّ بن ساعدة ثلاث مئة وثمانين سنةً. وقد وهم، والصحيح مئةٌ وثمانون سنةً وقد ذكرناه في صدر السيرة.

وعاش كعبُ بنُ حُمَمَة الدَّوْسي ثلاث مئة وتسعين سنةً، وعاش الرَّبيع بن ضَبُع الفَزاري ثلاث مئة وثمانين سنةً منها ستون سنةً في الإسلام، وعاش المُسْتَوْغِر بنُ ربيعة ثلاث مئة وعشرين سنة وقال: [من الكامل]

ولقد سئمتُ من الحياة وطُولِها ... وعَمَرْتُ من بعد السنين مِئينا
مئةٌ حَدَثْتها بعدها مئتان لي ... وازدَدْتُ من بعد الشُّهور سِنينا
هل ما بَقى إلّا كما قد فاتني ... يومٌ يَمرُّ وليلةٌ تَحدونا

فأما من عاش ثلاث مئةٍ فخلقٌ كثيرٌ، منهم: ذو الإصْبَع العَدْواني واسمه: حُرْثان ابن مُحرِّث بن الحارثِ بن ربيعة، وهو أحدُ حُكَّام العرب في الجاهلية.

وروى الهيثم بن عديّ عن مِسْعَر بن كِدام، حدثنا سعيد[3] بن خالد الجَدَلي قال: لمّا قَدِم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مُصعب دعا الناس، فأتيناه فقال: مَن

(١) أمالي المرتضى ١/ ٢٦٣، والمنتظم ٤/ ١٠٠.

(٢) هذا الفصل من (ك)، وليس في (خ) و(أ)، والمصنف ينقل من كتاب جده أعمار الأعيان ١١٤ ـ ١٢٣، وانظر فضل تخريج فيه.

(٣) وكذلك هو في أعمار الأعيان ١١٤، وأمالي المرتضى ١/ ٢٤٩، وصوابه: معبد، انظر جمهرة ابن حزم ٢٤٤، والأغاني ٣/ ٩١.

القومُ؟ فقلنا: جَدِيلة، فقال: جَدِيلةُ عَدْوان؟ قلنا: نعم، فتمثّل عبد الملك: [من الهزج]

عَـذيـرَ الـحـيِّ مـن عَـدْوا ... نَ كـانـوا حـيَّـةَ الأرضِ
ومـنـهـم كـانـت الـسَّـادا ... تُ والـمُـوفـون بـالـقَـرْضِ
ومـنـهـم حَـكَـمٌ يـقـضـي ... فـلا يُـنْـقَـضُ مـا يَـقـضـي

ثم أقبل على رجلٍ كنا قدَّمناه أمامنا، جَسيم وسيم، فقال: لأيّكم هذا الشعرُ؟ فقال: لا أدري، فقلتُ من خَلْفه: لحُرْثان، فقال: لِمَ سُمِّي ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري، فقُلتُ: نَهشتْه حيَّةٌ في إصبعه، فقال: من أيّكم كان؟ فقال: لا أدري، فقلتُ: من ناجٍ.

فأقبل على الجَسيم وقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعُ مئة درهم، ثم أقبل عليَّ فقال: كم عطاؤك؟ قلتُ: أربع مئة درهم. فقال: يا أبا الزُّعَيْزِعَة، حُطَّ من عطاء هذا ثلاث مئةٍ، وزِدْها في عطاء هذا، يُشيرُ إليّ.

ومنهم عمرو بن حُمَمَة الدَّوسي، وكان حاكما أيضاً على العرب، وهو القائل: [من الطويل]

تـقـول ابـنـتـي لـمّـا رأتـنـي كـأنّـنـي ... سَـلـيـمُ أَفـاعٍ لـيـلُـهُ غـيـرُ مُـودَع
ومـا الـمـوتُ أفـنـانـي ولـكـنْ تـتـابـعـتْ ... عـلـيَّ سـنـونٌ مـن مَـصِـيـفٍ ومَـرْبَـع
فـأصـبـحـتُ مـثـلَ الـنَّـسْـرِ طـارت فِـراخُـه ... إذا رامَ تَـطـيـاراً يُـقـالُ لـه قَـعِ
أُخـبِّـرُ أخـبـارَ الـقُـرونِ الـتـي مـضـت ... ولا بُـدَّ يـومـاً أن يُـطـارَ بـمَـصْـرعـي

ومنهم ذو جَدَن الحِميريّ، وشريةُ بن عبد الله الجُعْفي بن سعد العشيرة، وأدرك الإسلام في زمان عمر، وكذا عبيد بن شَرِيَّة الجُرْهمي، وأسلم ووفد على معاوية في آخرين.

وقال ابن قتيبة: عاش عَبيد بن الأبرص ثلاث مئة سنة[1].

كتاب خالد إلى الفرس الذين بالمدائن

روى مجالد عن الشعبي أنه وقف عليه، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد

(١) أعمار الأعيان ١١٧.

ابن الوليد إلى مَرازِبة أهل فارس، سلامٌ على مَن اتَّبع الهدى، أما بعد، فالحمد لله الذي سَلبكم مُلكَكم، وفضَّ جُموعَكم، ووَهَّن كيدَكم، وإنه مَن صلَّى صلاتَنا، وأكل ذَبيحَتَنا فهو المسلم الذي له ما لنا، وعليه ما علينا، فإذا جاءكم كتابي هذا فابعثوا إلي بالرُّهُن، واعتَقدوا مني عقد الذِّمَّة، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثنَّ إليكم قوماً يُحبون الموتَ كما تُحبون الحياة، والسلام. فلما قرؤوا كتابَه جعلوا يَتعجَّبون[1].

وقال سيف: لمّا فرغ خالد من اليمامة كتب إليه أبو بكر رضوان الله عليه: إنِ اللهُ فتح عليك فاقصد العراق حتى تلتقي عِياضَ بنَ غَنْم، وهو بين النِّباج والحجاز، وكتب إلى عياض أنْ سِرْ حتى تأتي المُصَيَّخ فابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها وعارِقْ حتى تلتقي خالداً، وأُذَنا لمِن شاء بالرجوع، ولا تَفتح العراق بمُتكاره.

واستمدَّ خالد أبا بكر، فأمدَّه بالقعقاع بن عمرو التميمي وحدَه، فقيل: أتمدّه برجلٍ واحد؟ فقال: لا يُهزم جيشٌ فيه مثل القعقاع، وأمدّ عِياضاً بعَبد بن يَغوث الحِميري، وكتب إليهما: استَنفِرا مَن ثَبت على الإسلام، ولا يَحضُرنَّ معكم مرتدّ، فلم يشهد تلك الأيام مرتدّ.

فقدم خالد الأُبُلّة، وكان أبو بكر قد أمرهم بفَرْج الهند، وكان على موضع البصرة من قبل الفرس، قُطبة بن قتادة السَّدوسي، وعلى الأُبُلّة هرمز في ثمانية عشر ألفاً[2] ـ فكتب خالد إلى هُرمز: أما بعد، فأَسلِم تَسلَم، أو أَقِرَّ بالجزية، وإلا فلا تَلُومَنَّ إلا نفسَك، فقد جئتُك بقومٍ يُحبون الموت كما تحبون الحياة.

ولم يَسلك خالد بالجيش جُملة، وإنما فَرّقهم في ثلاث طُرق، فسرَّح المثنى قبله بيومين ودليلُه ظَفَر، وسَرَّح بعده عَديَّ بن حاتم وعاصم بن عمرو، [ودليلاهما مالك بن عباد] وسالم بن نَصْر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج خالد ودليله رافع بن عمرو، ووعدهم جميعاً الحَفير ليجتمعوا هناك، ويُصادموا هُرمزاً، وكان فَرْجُ الهند ـ وهو الأُبُلَّة ـ أعظمَ بلاد فارس شأناً، وأشدّه شَوكةً، وكان صاحبُه يُحارب العرب في البَرّ، وأهلَ الهند في البحر.

(١) كتاب الردة ٢٢٥، والطبري ٣/ ٣٤٦، والمنتظم ٤/ ١٠٠ـ١٠١.

(٢) كذا، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٣٤٣ وما بعدها، والمنتظم ٤/ ١٠١.

وبعث هُرمز إلى [شيري بن] كسرى يَستمدُّه ويُخبره، ثم تَعجَّل إلى الكواظم في سَرَعان الناس ليَلقى خالداً على الحَفير، فبادروهم، ونزل به، وتَهيَّأ للقتال، فجعل على مجنبته أخويه قُباذاً وأَنُو شجان ـ وقيل: إنهما كانا أخوين لأَرْدشير ـ واقترن القوم في السلاسل، فقال بعضهم: هذا طائرٌ مَشؤوم، قَيَّدتُم نفوسَكم لعدوّكم في السلاسل، فلم يلتفتوا، وقالوا: لعلكم تُريدون الهرب.

وكان هرمز سيِّيءَ الجِوار للعرب، وهم له كارهون، وكانوا يَضربون المثَلَ بخُبْثِه فيقولون: أخبث من هرمز، وكان هُرمز قد سبق إلى الماء، فعطش المسلمون، فأرسل الله غَمامة، فشربوا منها.

والتقى الفريقان، فقال هُرمز لأصحابه: إذا بارزتُ خالداً فافتُكوا به، ونادى هرمز: ليَبرز إليَّ خالد، فبرز إليه، فتجاولا، واختلفا ضربَتين، واحتضنه خالد، وحمل أصحاب هُرمز عليه، فما شغله ذلك عنه حتى قتله، فلما قتله انهزمت الفُرس، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، ومنعتْهم السلاسلُ من الهزيمة، فقُتلوا وغَنمهم المسلمون.

وقُتل من أهل فارس ثلاثون ألفاً سوى مَن غَرق، وقسم خالد الغنائم، وبعث بالأخماس إلى أبي بكر مع سعيد بن النعمان، وبعث بالسّلاسل أيضاً، فكانت وِقْرَ ألفِ بعير، على كلِّ بعير ألفُ رطل بالعراقي، فسُمّيت غزاة ذات السلاسل.

وكان فيما بعث خالد إلى أبي بكر رضوان الله عليه قَلنسوة هرمز، وهي مُرَصَّعة بالجَوْهر، وقيمتُها مئةُ ألف درهم ـ وكان أحدهم إذا تم شَرفه جعل قلنسوتَه كذلك ـ وبعث معها بفيلٍ، فكان يُطاف به في المدينة، ويَتعجَّبُ منه الناس، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه أعاد القلنسوة إلى خالد، نَفَّله إياها، وكان يَلبَسها في الحرب.

ثم سار خالد فنزل الجسر الأعظم بالبصرة، وسار المثنّى في آثار القوم، وأرسل معقل بن مُقَرِّن إلى الأُبُلّة فجمع الأموال والسبايا.

وقال الطبري: كانت وقعة الأُبُلَّة في سنةأربع عشرة على يد عتبة بن غزوان في أيام عمر رضي الله عنه[1].

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٠.

ولم يُزعج خالد أهلَ العراق لوصيّة أبي بكر، وإنما كان يَسبي أولادَ المقاتلة، وسار المثنى بن حارثة حتى انتهى إلى النهر المعروف بنهر المرأة، وعليه حصن فيه امرأة، فحاصره، وفتحه، وتزوَّج المرأة.

قصة الحيرة

كان بها مرزبان يقال له: آزاذبه، وقد بلغ نصف الشَّرَف، وقيمةُ قَلَنْسوته خمسون ألفاً، فلما أخرب خالد أَمْغِيشيا علم أنه غيرُ مَتروك، فتهيّأ للحرب، وقَدَّم ابنَه، ثم خرج في أثره، فعسكر خارجاً من الحيرة، وتُسمّى الحيرة فُرات بادَقْلَى وأمر ابنَه بسدّ الفرات، وأقام ابنُ آزاذبه على جانب الفرات، [ولما استقل خالد من أمغيشيا، وحمل الرجال في السفن مع الأنفال والأثقال، لم يفجأ خالد إلا والسفن جوانح، فارتاعوا لذلك، فقال الملّاحون: إن أهل فارس فجّروا الأنهار، فسلك الماء غير طريقه، فلا يأتينا الماء إلا بسدّ الأنهار، فتعجّل خالد في خيل نحو ابن آزاذبه، فتلقاه وجنده على فم فرات بادَقْلَى، فاقتتلوا فأنامهم، وفجّر الفرات] وسدّ الأنهار[1]، فعاد الماء إلى مجراه فجرت السفن، وبلغ آزاذبه مُصابَ ابنه، فقطع الفرات إلى المدائن.

وجاء خالد فنزل الخَوَرْنق والسَّدير والنَّجف، وحاصر قُصور الحِيرة، ودفع كلَّ قصر إلى قائدٍ من قُوَّاده، فحاصر ضرار بن الأزور القصر الأبيض، وفيه إياس بن قَبيصة الطائي ـ وقد ذكرنا وفاة ضرار بن الأزور فيما تقدَّم، فإن صحّت هذه الرواية فقد تأخَّرت وفاتُه ـ وحاصر ضرار بن الخطاب قصرَ الفرس[2]، وفيه عَديّ بن عَديّ، وحاصر المثنّى بن حارثة قصر ابن بُقَيْلة [وفيه] عبد المسيح، [فدعوهم جميعاً]، وأَجَّلُوهم يوماً، فأبى [أهلُ] الحيرة، فناوشهم المسلمون.

فكان أوَّل القُوَّاد أنشب القتال ضرار بن الأزور، وصَبَّح كلُّ أميرٍ ثَغْرَه، فأكثروا فيهم القتل، فصاحوا: كُفُّوا عنا، وأوّلُ من طلب الصلح عبد المسيح بن بقيلة[3]، ونزل أشرافُهم إلى خالد، فخيَّرهم بين الدُّخول في الإسلام، وبين [الجزية، وبين]

(١) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٩.

(٢) وكذا جاء في المنتظم ٤/ ١٠٤، وفي الطبري ٣/ ٣٦٠: العدسيّين.

(٣) في الطبري ٣/ ٣٦١، والمنتظم ٤/ ١٠٤: عمرو بن عبد المسيح، وقد سلف لعبد المسيح ذكر، وسؤال خالد له.

المناجزة، فاختاروا الصُّلح، وأدَّوا الجِزية، وصالحوه كلَّ سنة على مئة ألف وَتسعين ألف درهم، وأهْدَوا له هدايا، فبعث بالهدايا والفتح إلى أبي بكر رضوان الله عليه فقبلها، وكتب إلى خالد: احسب لهم هداياهم من الجزية.

وكان هذا الفتح في ربيع الأوّل [من هذه] السنة، ثم إنهم كفروا بعد موت أبي بكر رضوان الله عليه، ومنعوا ما كانوا يُؤَدُّونه، فحاربهم المثنى فأذعنوا، ثم كفروا، فقاتلهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأجلاهم، لما نذكر.

قصة سُويد بن مُقَرّن[1] مع كَرامة بنت عبد المسيح

ولما فتح خالد الحيرة قام شُوَيل وقال: يا خالد، سمعت رسول الله ﷺ يَذكر فتح الحيرة ويقول: «كأن [شُرَفَ] قصورها أضراسُ الكلاب»[2]، وكانت قد وُصفت له كَرامة، فسألته إياها، فقال رسول الله ﷺ: «إذا فُتحت عَنوة فهي لك»، فقال خالد: مَن يشهد لك؟ فقام جماعة، فشهدوا له، فلما حاصر خالد القصر الذي هي فيه، أرسل أبوها عبد المسيح يسألُه الصُّلْح عليها، فأبى خالد، وقال: لا بد منها، فقال أبوها: إنكم لم تفتحوا القصر عَنوة، وتوقّف الحال، فقالت كرامة: ادفعوني إليه، ما تخافون عليّ وأنا عجوز قد بلغتُ ثمانين سنة، وسأفدي نفسي، وهذا رجلٌ أحمق، رآني في حال شبيبتي، فظنّ أن الشباب يدوم ففعل هذا، فدفعوها إليه، فخدعتْه وقالت: ما أَرَبُك إلى عجوزٍ كما ترى، فاشترت نفسها منه بألف درهم، وكان يظنُّها شابَّة، فقال: ما أرى إلا عجوزاً، فدفعتها إليه وأطلقها، فقال له خالد: ويحك ما صَنعتَ؟ لو طلبتَ فيها أُلوفاً لأخذتَ، فقال: ما كنتُ أظنُّ عدداً يزيدُ على أكثر من ألف درهم، فقال خالد: أردتَ أمراً وأراد الله غيره. واستقام لخالد ما بين الفَلاليج إلى أسفل السَّواد، وقال هشام: استقام له من الكوفة إلى دجلة التي عليها المدائن.

---

(١) كذا، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٣٦٤ و٣٦٥، والمنتظم ٤/ ١٠٤، والاكتفاء ٤/ ٩٢ و٩٣، والكامل ٢/ ٣٩١، والبداية والنهاية ٩/ ٥٢٣ : (هجر): شويل رجل من الصحابة. وهو الصواب.

(٢) في النسخ: أبيات للكلاب، والمثبت من الطبري ٣/ ٣٦٦.

وكان المسلمون يَمخرون من أرض العرب إلى دجلة، وليس للفُرس حكمٌ ما بين دجلة والفرات، وخيلُ خالد ما بين الحيرة والأُبُلّة، فأقام على ذلك سنة، وسببُه موت أردشير بن بابك[1]، فإنه توفي في هذه السنة، واختل ملك الفرس فلما علم خالد باختلافهم كتب كتابَيْن إلى خواصّ الفرس، وكتاباً إلى العامّة، فأما كتاب الخاصة ففيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس، الحمد لله الذي حَلَّ نِظامَكم، ووَهَّن كيدَكم، فادخلوا في أمرنا نَدعْكم وأرضَكم، ونَجُوز إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون.

وفي الكتاب الآخر: أَسْلِموا تَسلموا، وإلا فأَدُّوا الجِزية. وتهدَّدهم فيه بمعنى ما تقدَّم من كُتبه، ودعا رجلين من السَّواد، فقال لأحدهما: ما اسمُك؟ فقال: مُرَّة، فقال: خذ هذا الكتاب، وادفعه إلى مَن كُتب إليه، ولعلَّ الله أن يُمِرّ عليهم عيشَهم، وقال للآخر: ما اسمُك؟ قال: هِزْقيل، فقال: اللهمَّ أزهِقْ نفوسَهم، وبعثهما بالكتابَيْن، فلما أَوصلاهما وَجدا القوم مختلفي الكلمة، يَخلعون ويُمَلّكون.

قصة الأنبار

وسار خالد إلى الأنبار، فتَحصَّن أهلُها منه، وبعث على مُقدّمته الأقرع بن حابس، وكان بها مَرزبان يقال له: شيرازاد من عظماء الفرس، فصَعِد المرزبان والفرس على السور، وجاء خالد فأحدق بالبلد، وقال للرُّماة: ارشقوهم، واقصدوا عيونهم، فرشَقوهم بالنَّبْل، ففقؤوا عشرة آلاف عين في ساعة، وقيل: ألفُ عين، فسُمِّيت تلك الوقعة ذات العيون، فأرسل المرزبان إلى خالد يَسأله الصُّلْحَ على شيء لم يَرضَه خالد، فلم يُجبه، وقال للعسكر: أَلقُوا ما معكم من رَوَايا الإبل في الخندق في أضيق مكان، ففعلوا، فاقتحم خالد الخندق، فبعث إليه المرزبان يسأله الصُّلح، على أن يُلحِقه بمَأْمَنْه وليس معه شيء، فأجابه.

ودخل البلد فوجد فيه أَنابيرَ الطعام من الحنطة والشعير والعنب والتين، وكان

(١) يعني سبب اختلال ملك الفرس في هذه الأماكن.

كسرى يَرزق أصحابَه منه، فلذلك سُمِّي الأنبار، ووجد خالد في الأنبار قوماً يكتبون بالعربية وهم من العرب، فقال: من أنتم؟ فقالوا: من إياد نزلنا ههنا في أيام بختنصَّر[1].

ولما سار خالد عن الأنبار استخلف فيها الزّبرقان بن بدر، وكاتب خالد مَن حول الأنبار؛ مثل أهل كَلْواذى والبَوازيج، فصالحهم، وكانوا عيوناً له من وراء دجلة، يُطالعونه بالأخبار، قال هشام: فلما فَصل خالد عن العراق نقض أهلُ الأنبار الصُّلح، وكذا مَن حولهم.

ذكر موضع بغداد اليوم

كان سوقاً لقُضاعة، فبعث خالد المثنّى، فأغار عليهم، وجمع ما كان فيه، وعاد إلى خالد، وقيل: إن هذه الوَقْعة والغارة كانت بعد انفصال خالد عن العراق في سنة ثلاث عشرة، وسنذكرها إن شاء الله تعالى.

قصة عين التَّمْر

ولما فرغ خالد من الأنبار سار إلى عين التَّمْر، وبها جَمعٌ عظيم من الفرس والعرب، وعلى الفرس مِهران بن بَهرام، وعلى العرب عقَّة بن أبي عقّة، فقال عقّة لمهران: نحن أعرف بقتال بعضنا لبعض فدعني وخالداً، فكلَّمت الفرسُ مهران في ذلك، فقال: إن كانت الغلبةُ لعقَّة فهو فتحٌ لكم، وإن كانت عليه وصلوا إليكم وقد ضَعُفوا، وقد نَهَكَتْهم الحرب، فتَظهروا عليهم.

وخرج عقّة إلى خالد، فالتقوا دون عين التّمر، واقتتلوا، فحمل خالد على عقّة، فأسره وقتل أصحابه، وانهزم الباقون، وبلغ مهران فهرب من الحصن، ونزل فيه مَن انهزم من أصحاب عقّة، وسبى جماعةً من الحصن، ووجد في بِيعة الحصن أربعين غُلاماً يتعلّمون الإنجيل، ففرّقهم في المسلمين، وكان فيهم سيرين أبو محمد بن سيرين، وحُمران مولى عثمان بن عفان، وأبو عمرة جد عبدالله بن عبد الأعلى الشاعر،

(١) في الطبري ٣/ ٣٧٥ : فسألهم ما أنتم؟ فقالوا قوم من العرب، نزلنا إلى قوم من العرب، فكانت أوائلهم نزلوها أيام بختنصر، فقال: ممن تعلمتم الكتاب؟ فقالوا: تعلمنا الخط من إياد.

وأبو زياد مولى ثَقيف، ونُصَير أبو موسى بن نُصَير، وابن أخت النَّمِر، ويَسار مولى قَيْس بن مَخْرمة وغيرهم، واستُشهد جماعة من المسلمين في عين التَّمْر نذكر أعيانَهم في آخر السَّنة.

قصة دُومَة الجَنْدَل

ولما فرغ خالد من عين التَّمر استخلف عليها عُويمر بن الكاهن الأَسلمي، وسار إلى دومة الجندل، وكان عليها رئيسان:

أكَيْدر بن عبدالملك والجُوديّ بن ربيعة، فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا يرى أحدٌ وجهَه إلا انهزم، فصالِحوه، فأبى الجُوديُّ عليه، فقال: لا حاجةَ لي بقتال خالد، وخرج أكيدر من الحصن، فوقع عليه جندُ خالد فقتلوه، واستنفر الجُوديُّ قبائلَ العرب بَهراء وكَلْب وغسّان وتنوخ والضَّجاعم وأحلافهم، والتقوا، وخرج الجوديُّ من الحصن، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، وأُسِر الجُوديُّ فقُتل، وفُتح الحصن، وسبى خالد ابنةَ الجوديِّ، وكانت موصوفةً بالجمال، وقيل: إنها أُسرت فاشتراها خالد، وأقام بدومَة أياماً.

قصة الحُصَيد

ولما فتح خالد دومة الجندل تحرَّكت الفُرس عليه، وكاتبهم عربُ الجزيرة، غضباً لمَن قُتل من أصحاب عقّة وفرسانهم، فرجع خالد إلى الحيرة، وبعث الأقرع بن حابس إلى الأنبار، والقَعقاع بن عمرو إلى مكان يقال له: الحُصيد، وبعث عُروة بن الجَعْد البارقي إلى الخنافس، وفي رواية أن الفرس جَهَّزوا رُوزبة وزَرْمهْر من المدائن يقصدان عين التمر، وكان خالد قد نزل قريباً من الحيرة، وكان خليفتَه على الجزيرة القعقاع بنُ عمرو، وأنه هو الذي رتّب هذا الترتيب، وسار القعقاع بجيوشه، فالتقى رُوزبه وزرمهر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل رُوزبه وزرمهر، وانهزمت الفرس، ولم يَشهد خالد أوَّلَ الوَقْعة وأدرك آخرها، وبعث بالغنائم والسبايا إلى المدينة، فاشترى علي بن أبي طالب ابنة ربيعة بن بُجير، فولدت له عُمر ورُقيّة.

قصة الفِراض

وهو حصن بين العراق والشام والجزيرة، فيه فُرسان وسلاحٌ كثير، وهو مجاور للروم، وعزم خالد على قَصْده، وبلغ الروم فغضبوا، واستعانوا بمَن يليهم من مسالح[1] أهل فارس والعرب: تَغْلب وإياد والنَّمِر وغيرهم، واستخلف خالد على الحيرة عياض بن غنم، وسار إليهم في جيوشهم، والتَقَوا والفرات بينهم، خالد من المغرب، وهم من المشرق، فراسلوه وقالوا: إما أن تَعبُر إلينا، أو نَعبر إليك، فقال: بل أنتم فاعبروا، فقالوا: تنحَّ من مكانك حتى نَعبر، فقال: لا نفعل، ولكن اعبُروا أسفلَ منا، فعبروا وكانت بينهم وقعة عظيمة، قُتل منهم مئةُ ألف، وأُسِرَ مَن بقي، وغنم المسلمون أموالهم، وذلك أول ذي القعدة، وقيل: في نصفه.

ذكر حجّة خالد

قال سيف: لما فرغ خالد من الفِراض أظهر أنه قاصدٌ الحيرة، وكتم حَجَّه عن الناس، ثم استخلف على الجزيرة المثنّى بن حارثة، وأخذ معه عِدَّةً من أصحابه، وسار يَعتسف الفيافي والمفاوز بالسَّمْت، فتأتَّى له ما لم يَتأتَّ لغيره من الأَدِلّاء، وصار ذلك طريقاً من الحيرة إلى مكة وإلى هلمَّ جَرّا، وهي الجادَّةُ المعروفة لأهل العراق، وكان خروجُه إلى ذات عِرْق ثم إلى عرفات، فحجَّ مع الناس ونَسك المناسك، وعاد إلى العراق في الطريق الذي جاء فيه.

وبلغ ذلك أبا بكر رضوان الله عليه، فشق عليه لكونه لم يستأذِنْه في ذلك، فعاتبه بأنْ كتب إليه، فصرفه من العراق إلى الشام، وهذا يدلُّ على أن أبا بكر لم يحجَّ في هذه السنة، لأنه لو حجَّ لاجتمعا، ولم يحتجْ إلى مكاتبته، ولم يُنقل ذلك، فكتب أبو بكر إلى خالد:

من عبدالله بن عثمان خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فسِرْ بمَن معك من المسلمين إلى اليرموك، وإياك أن تَعودَ إلى

(١) في (خ) و(أ) والمنتظم ٤/ ١١٠ : مشايخ، والمثبت من الطبري ٣/ ٣٨٣ ، والكامل ٣/ ٣٩٩ ، والمسالح: القوم المسلَّحون في الثغور.

ما فعلتَ، ولا يَدخُلنَّك عُجبٌ فتَخسر، وتمِّم أبا سليمان النيَّة والحُظْوة، يُتمّم الله لك[١]، وإياك أن تُدِلَّ بعملك، فإن المنَّ لله، وهو وليُّ الجزاء والسلام. ولما قرأ خالد كتابَه قال: هذا من عمل الأُعَيسِر، حَسَدني أن يكون فتحُ العراق على يدي.

قال ابنُ إسحاق: كتب أبو بكر رضوان الله عليه وهو بالعراق: أما بعد، فدَع العراق، وخَلِّف فيه أهلَه الذين قدمتَ عليهم وهم فيه، ثم امضِ متخفِّفاً في أهل القوَّة من أصحابنا، الذين قدموا معك من أهل الحجاز، حتى تأتي الشام، فتلقى أبا عبيدة ومن معه من المسلمين، فإذا لَقيتَهم فأنت أميرُ الجماعة، والسلام.

ذكر انفصال خالد عن العراق إلى الشام

لما انفصل خالد عن العراق استخلف المثنى بن حارثة على مَن تخلَّف من المهاجرين، ومَن بقي معه من الصحابة والتابعين، فانحاز بهم نحو البرّيّة مما يلي الأنهار، مخافةً عليهم من الفُرس حتى يأتيهم المدد، وأخذ خالد على السَّماوة حتى انتهى إلى قُراقر، وبينها وبين سُوَى خمس ليال، فلم يعرف الطريق، فدُلَّ على رافع بن عمرو، وكان هادياً خِرّيتاً، فقال: ما عندك يارافع؟ فقال: هذه مَفاوز موحشة، ومَهامِه مُقفرة، ما سلكها إلا مغرور، ومعكم أثقال، فمن استطاع منكم أن يُصيِّر أُذنَ راحلته على ماء فليفعل، ثم قال: ابغِني عشرين جَزوراً عظاماً سماناً، فأتاه بها، فظمَّأهُنّ حتى أَجْهَدَهُنَّ عطشاً، ثم سقاهنّ من الماء حتى روين، ثم قطع مَشافرَهُنَّ لئلا يَجتَرِرْن، وكَعَمَهُنَّ[٢] لئلا يَفسُدَ الماء في أجوافهنَّ بالجرة، ولئلا يخرج، ثم قال لخالد: سِرْ.

فسار، فكلما نزلوا منزلاً نحر من تلك الجزائر أربعاً، وسقى ما في بطونهنّ الخيل، وشرب الناس مما تزوَّدوا من الماء، فلما كان اليوم الخامس وقد نُحرت الجَزور كلها قال له خالد: ماترى؟ وكان رافع قد رَمِدَ، فقال: انظروا هل تَرون شجرَ عَوسَج؟ فنظروا، فقالوا: لا، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هلكتَ يا خالد وأهلكْتَ، ثم وقف وقال: انظروا جيداً، فنظروا، فلاح لهم شجرُ العَوْسَج على بُعد، فأخبروه، فقال: الله أكبر، أدركتُم الرِّواء، فلما وصلوا إلى شجر العَوْسج وجدوا عندها عيناً عذبة، فشربوا وسقوا،

(١) في الطبري ٣/ ٣٨٥ : فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتم الله لك.

(٢) كَعَمَ البعيرَ: إذا شدَّ فاه لئلَّا يعض أو يأكل. اللسان (كعم).

فقال رافع: والله ما سلكتُ هذا المكان إلا مرةً واحدةً مع أبي وأنا غلامٌ صغير، فقال أبو أحيحة القرشي من أصحاب خالد: [من الرجز]:

لله دَرُّ رافـعٍ أنَّـى اهـتـدى
فَـوَّز مـن قُـراقـرٍ إلـى سُـوى
خِمساً إذا ما سارها الجيشُ بَكى
ما سارها قبلَك إنسيٌّ يُرى
والعينُ عينٌ قد تَغشَّاها القذى
فهو يَرى بقلبه ما لا يرى
قلبٌ حَفيظٌ وفُؤادٌ قد وَعى
والسَّيرُ زَعْزَاعٌ فما فيه وَنَى
هذا لعَمْري رافعٌ هو الهُدى
عند الصباح يَحمَدُ القومُ السُّرى(١)

ورافع هذا من طيئ، ويقال له: رافع الخير، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، غزا مع عمرو بن العاص غزاة ذات السَّلاسل، وصحب أبا بكر فيها، وروى عنه ولم ير رسول الله ﷺ(٢).

وقال ابن عساكر كُنيتُه أبو الحسن السِّنبِسي، وله صحبة، وروى عنه طارق بن شهاب، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، وأمَّر عليهم عمرو بنَ العاص، وفيهم أبو بكر وعمر، فقال: دُلُّونا على رجلٍ يَختصر الأرض، [ويأخذ] غير الطريق، فدُلَّ عليَّ، فكنتُ دليلَهم في تلك الغزاة، ورافقتُ فيها أبا بكر، فكان يُنيمُني على فراشه، ويُلبِسني كساءً له من أكسية فَدَك، قال: وتُوفِّي في أيام عمر بن الخطاب.

---

(١) تاريخ دمشق ١/ ٢٣٢ (مخطوط)، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٤١٥-٤١٦، والفتوح ١/ ١٣٢-١٣٨، وفتوح البلدان ١١٨، والمنتظم ٤/ ١٠٩-١١٠، ومجمع الأمثال ٢/ ٣، وطبقات ابن سعد ٦/ ٦٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٦٧-٦٨.

obeikandl.com

وقال الدارقطني: هو الذي قطع ما بين الكوفة ودمشق في خمس ليال[١].

واستقامت لخالد الطريق، وتواصلت به المياه حتى نزل مَرْج عَذراء وبه ناس من غسان، فأصاب منهم، ومضى حتى نزل على قناة بُصرى وبها أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة والأمراء، فصالحهم أهلُ بُصرى على الجزية، فكانت أول جزية وقعت بالشام في أيام أبي بكر رضوان الله عليه، ولما وصل خالد إليهم صار أميراً عليهم.

وقال هشام: لما خرج خالد من البرّية، ووصل إلى أطراف الشام قال: مَن يأخذ بنا إلى اليرموك من وراء الروم؟ فأخرجوه قِبلي القريتين، فمرَّ بالغوطة وبها غسَّان، وعليهم الحارث بن الأَيهم الغساني، فانتَسف خالد عسكرهم وعيالهم، ثم نازل بُصرى فافتتحها، وهي أول مدينة فُتحت بالشام.

وقال الهيثم: لما وصل خالد إلى سُوى شنَّ الغارات، وكان عليه بَهراء، وهم أهلُ ذلك الماء، فأغار عليهم قُبيل الصبح، وناس منهم يَشربون الخمر، فقيل: الغارة، فقال واحد منهم: تَمِّموا فلعلكم لا تشربونها بعد اليوم، وكان عندهم مُغنٍّ وهو يقول: [من الطويل]

ألا عَلِّلاني قبل جيشِ أبي بكر ... لعلّ منايانا قريبٌ وما ندري
ألا عَلِّلاني بالزُّجاج وكَرِّرا ... عليَّ كُمَيتَ اللونِ صافيةً تَجري
ألا فاسقياني من سُلافةِ قهوةٍ ... تُسَلِّي همومَ النفسِ من جَيِّد الخمر

وسمعه خالد، فهجم عليه، فضرب رأسه، فأبانه ووقع في الجَفنة[٢].

وفي هذه السنة تزوَّج عمر بن الخطاب عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بعد وفاة عبدالله بن أبي بكر الصديق، وكانت تحت عبدالله، وقد ذكرناها في ترجمته.

وفيها اشترى عمرُ أسلمَ مولاه.

وفيها تزوَّج عليٌّ أمامةَ بنت أبي العاص، وأمُّها زينب بنت رسول الله ﷺ، أخت فاطمة عليها السلام.

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ١٨٣-١٨٧ (مخطوط).

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٤١٦-٤١٧ .

وفيها جمع أبو بكر القرآن، قال البخاري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، عن ابن السَّبَّاق، عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر مَقْتَلَ أهلِ اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب جالسٌ عنده فقال: أَخبَرني عمر أنَّ القتلَ قد استَحَرَّ يومَ اليمامة بقُرَّاء القرآن، وأخشى أن يَستَحِرَّ القتلُ بهم في كل مَوطن، فيَذهبَ كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تَجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلتُ لعمر: كيف أفعلُ شيئاً لم يفعلْه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يُراجِعُني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرَ عمر.

ثم قال أبو بكر: يا زيد، إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نَتَّهمُك، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ، فتَتبَّع القرآن فاجْمعه، قال زيد: فوالله لو كلَّفني نَقْلَ جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به، فقلتُ: كيف تفعلان شيئاً لم يفعلْه رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خيرٌ، فلم يزل يُراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فتتبَّعتُ القرآن، فجمعتُه من الرِّقاع والعُسُب والأكتاف وصدور الرجال، حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خُزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخرهما.

فكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفّاه الله، ثم عند عمر حتى تَوفَّاه الله، ثم عند حَفصة بنت عمر.

انفرد بإخراجه البخاري[1]، ثم إن عثمان رضوان الله عليه جمع القرآن مرةً ثانية.

وفيها اعتمر أبو بكر في رجب، دخل مكةَ ضَحوة، فأتى منزلَه، وأبو قحافة جالس على باب داره، ومعه فِتيانٌ يُحدّثهم، فقيل له: هذا ابنُك، فنهض قائماً، وعجل أبو بكر أن يُنيخ راحلته، فنزل عنها وهي قائمة، فجعل يقول: يا أبة لا تَقُم، ثم لاقاه فالتزمه، وقبَّلَ بين عيني أبي قحافة، وجعل الشيخ يبكي فرحاً بقُدومه.

وجاء إلى مكة عَتَّاب بن أسيد، وسُهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل،

(١) صحيح البخاري (٤٦٧٩).

والحارث بن هشام، فسلّموا عليه: سلامٌ عليك يا خليفة رسول الله، وصافحوه جميعاً، وأبو بكر يَبكي كلما ذكروا رسول الله ﷺ، وسلَّموا على أبي قُحافة، فقال أبو قحافة: يا عَتيق، هؤلاء الملأ من قريش فأَحسنْ صُحبتهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبه، لا حول ولا قوة إلا بالله، طُوِّقتُ عظيماً من الأمر، لا قوة لي به ولا يدان إلا بالله تعالى[١]، ثم دخل إلى البيت، فاضطبع بردائه، ثم استلم الرّكن، ثم طاف سبعاً وركع ركعتين، ثم انصرف إلى منزله، فلما كانت الظهر خرج فطاف أيضاً بالبيت، ثم جلس قريباً من دار الندوة وقال: هل من أحد يَتشكّى من ظُلامة، أو يَطلبُ حقاً، فما أتاه أحد، وأثنى الناس على واليهم خيراً، ثم صلّى العصر وودَّعه الناس، ثم خرج راجعاً إلى المدينة[٢].

وعزى أبو بكر سهيل بنَ عمرو في ولده عبدالله بن سهيل، وكان قد استُشهد باليمامة، فبكى سهيل وقال: لقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «يشفع الشهيد في سبعين من أهله»، وأنا أرجو ألا يَبدأ ابني بأحدٍ قبلي[٣].

وشكا إلى أبي بكر بعضُ أهل مكة [أبا] سفيان بن حرب، فأحضره، وجعل يَصيح عليه وينتهره، وأبو سفيان يَذلُّ له، فقال له أبو قحافة: يا عَتيق، أعلى أبي سفيان تَصيح، لقد تعدَّيتَ قَدْرَك، وجاوزْتَ[٤] طَوْرَكَ، فقال له: يا أبتِ، إن الله هدم بالإسلام بيوتاً منها بيتُه، وعَمر به بيوتاً منها بيتُك، وفي رواية: إن الله أعزَّ بالإسلام قوماً وأذل به آخرين[٥].

واختلفوا فيمن حج بالناس، فقال ابن سعد: حج أبو بكر بالناس تلك السنة، وأَفرد الحج، واستَخلف على المدينة عثمان بن عفان[٦].

وقال الهيثم: حجّ بهم عمر بن الخطاب، وقيل: عبد الرحمن بن عوف.

---

(١) المنتظم ٤/ ١١١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٧ ، وأنساب الأشراف ٥/ ١٤٢-١٤٣ ، وتاريخ دمشق ٣٥-٣٦/ ٤٣٥-٤٣٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٠٦ ، وأخرج الحديث أبو داود (٢٥٢٢)، وابن حبان (٤٦٦٠)، والبيهقي ٩/ ١٦٤ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) في (أ) و(خ): وجمرت؟!

(٥) انظر مروج الذهب ٤/ ١٧٩-١٨٠ .

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ١٧٨ .

وقال ابن إسحاق: لم يحجّ في خلافته؛ لأنه كان مشغولاً بتجهيز الجيوش إلى العراق والشام، وإنما اعتمر في رجب[١].

وفيها توفي أردشير بن شيرويه، واختلف أهلُ مملكته يُولّون ويَعزلون، ويَخلعون ويُملّكون، وكان ذلك من سعادة الإسلام والمسلمين.

وكان شيرويه قد أفنى أولاد الملوك ومن كان يُناسبه إلى كسرى بن قباذ فلم يبق للفرس مَن يجتمعون إليه، فتحيّروا في أمرهم، ولم يبق لهم إلا الدَّفع عن المدائن، فولَّوا ابن أرد شير، واسمه قباذ، وكان عمره سبع سنين، فأقام خمسة أشهر[٢].

وكان شهريار بن أبرويز مقيماً بأنطاكية، قد جهزه أبوه شهريار إلى المدائن، وكان أخوه شيرويه قد قتل أباه أبرويز على ما تقدم، فلما وصل إلى المدائن ملكها، وقتل قباذ ابن أردشير وظلم وطغى وبغى، وفضح النساء، وهتك الحريم، فوثبوا عليه فقتلوه، وكان مُلكه عشرين يوماً.

بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري

وكنيته أبو النعمان، من الطبقة الأولى من الخزرج، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأمُّه أنيسة بنت خليفة من ولد امرئ القيس، وهو والد النعمان بن بشير، وكان يكتب بالعربية في الجاهلية، واستعمله رسول الله ﷺ على السلاح في عُمرة القضيّة سنة سبع، وهو الذي كسر الأمر على سعد ابن عبادة يوم السقيفة، وبايع أبا بكر أول الناس[٣].

قال عمر بن الخطاب يوماً في مجلس فيه المهاجرون والأنصار: أرأيتم لو تَرخَّصت في شيءٍ ما كنتم تصنعون؟ فقال بشير: لو فعلتَ قَوَّمناك تقويمَ القِداح[٤].

وكان بشير زوج أخت عبدالله بن رواحة، وله منها ابنة يقال لها عمرة[٥]، واستشهد

(١) انظر الطبقات الكبرى، وتاريخ الطبري ٣/ ٣٨٦.

(٢) انظر المنتظم ٤/ ١٠٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٣١، والاستيعاب (١٨٦)، والمنتظم ٤/ ١١٢.

(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٣٧٢ (مخطوط).

(٥) كذا وهو خطأ، صوابه ما في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٣١، وجمهرة ابن حزم ٣٦٤، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٦٩ من أن ابنته اسمها: أُبيَّة، وأمها عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحة.

بشير يوم عين التَّمر، وأسند الحديث عن رسول الله ﷺ، وروى عنه ابنه النعمان وغيرُه.

عمير بن رئاب بن حُذافة السَّهمي

وأمُّه أم وائل بنت معمر بن حبيب.

وعمير من الطبقة الثانية من المهاجرين، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وقُتل بعين التمر شهيداً، ولا عقب له، ولا رواية[١].

كنّاز[٢] بن الحُصين بن يربوع

أبو مَرْثَد الغَنَوي، حليفُ حمزة بن عبدالمطلب، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين عبادة بن الصامت، وله صُحبة ورواية، وتوفي بالمدينة وهو ابن ستٍّ وستين سنة، وولَدُه مَرْثَد بن أبي مرثد، شهد بدراً على فَرسٍ يقال له: السَّبل، وشهد أحداً، وقتل يوم الرَّجيع [شهيداً، وكان أميراً في هذه السرية، وذلك في صفر] على رأس ستة وثلاثين شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة[٣].

أبو العاص بن الربيع

ابن عبد العُزَّى بن عبد شمس بن عبد مناف، واسمه مُهَشِّم، وأمُّه هالة بنت خويلد، أخت خديجة زوج النبي ﷺ، وزوَّجه رسول الله ﷺ ابنتَه في الجاهلية، فولدت له عليًّا وأُمامة.

فأما علي فدخل رسول الله ﷺ يومَ الفتح مكةَ وهو رديفُه، ومات صغيراً قد ناهز الحُلُم.

وأما أُمامة فتزوَّجها علي رضي الله عنه.

وأبو العاص من الطبقة الثالثة من المهاجرين، أسلم بين الخندق وفتح مكة، وكان

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٧ ، والاستيعاب (١٧١٦).

(٢) في (أ) و(خ): حماد، وهو خطأ، صوابه من الطبقات الكبرى ٣/ ٤٧ ، والاستيعاب (٢٢٢٠)، والمنتظم ٤/ ١١٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٨ وما بين معكوفين منه، والاستيعاب (٢٣٩٤).

يقال له: جَرْو البطحاء، لأنه كان وَسيطاً في نسبه، وكان من رجال قريش المعدودين، ويقال له: الأمين، وكان صاحبَ مالٍ ومروءة وأمانة، وكان النبي ﷺ يَشكره ويُثني عليه، وقال: ما ذَمَمْنا صهر أبي العاص.

وقال مَعروف المكي: خرج أبو العاص بن الربيع في بعض أسفاره إلى الشام في الجاهلية، فاشتاق إلى زينب رضي الله عنها فقال: [من البسيط]:

ذكرتُ زينبَ لما ورَّكت إرما ... فقلتُ سَقياً لشخص يَسكن الحَرَما
بنت الأمين جزاها الله صالحةً ... وكلُّ بعلٍ سيثني بالذي علما

وإرم: هي دمشق.

وكان أبو العاص مصافياً لرسول الله ﷺ، فكان يُكثر غِشيانه في منزل أمّه هالة. أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر، ولما أسلم رجع إلى مكة ولم يشهد مع رسول الله ﷺ مشهداً، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة، وقيل سنة ثلاث عشرة. وقال ابن منده: قتل يوم اليمامة، ولم يتابعه على ذلك أحد، وليس له عقب إلا من قبل ابنة له، وأخوه عمرو بن الربيع من مسلمة الفتح[1].

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١-٣٢ ، والاستيعاب (٣٠٤٢)، والمنتظم ٤/ ١١٣ ، وتاريخ دمشق ١٩/ ١٠٩-١٢٠ ، والتبيين ٢٢٣ .